المحاضرة السابعة: علم الاجتماع والمنهج العلمي (مناهج علم الاجتماع)

إن محاولة للوصول إلى أي جانب من جوانب المعرفة لا يكون إلا عن طريق البحث العلمي الذي يعتبر الطريق الصحيح والدقيق لاستقصاء الظواهر وفهمها وتفسيرها والوقوف على مدى صحتها وهذا لا يتأتى إلا بإتباع منهج بحث علمي والعلوم الاجتماعية كغيرها من العلوم تعتمد على مناهج علمية في دراستها للظواهر بغية الوصول إلى نتائج دقيقة وحقيقية،وقد تعددت وتنوعت مناهج البحث بتعدد تخصصات هذا الأخير وسنقوم بعرض أهم هذه المناهج وأكثرها شهرة واستعمالا في ميدان علم الاجتماع.

تعريف المنهج: Method

المنهج هو مجموعة القواعد التي يستعملها الباحث في تفسير ظاهرة معينة بهدف الوصول إلى الحقيقة العلمية، أو أنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

1) المنهج التاريخي: The Historical Method

يعتبر هذا المنهج من أقدم مناهج علم الاجتماع ويعد ابن خلدون من أهم رواده، وهو يهتم بتتبع ورصد مظاهر المجتمع من وقائع وتداعيات في سياقها الزمني والمكاني كما يرصد التغيرات الاقتصادية والسياسية والمعيشية في المجتمعات، ومنه فالمنهج التاريخي يقوم على أساس دراسة أحداث الماضي وتحليلها وتفسيرها من أجل الوصول إلى قوانين تمكننا من تحليل أوضاع الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، و هو منهج بحث علمي يقوم بالبحث والكشف في الحقائق التاريخية من خلال التحليل وتركيب الأحداث والوقائع الماضية المسجلة في الوثائق والأدلة التاريخية بعد التدقيق في صحة معلوماتها وإعطاء تفسيرات وتنبؤات علمية في صورة قوانين عامة ثابتة نسبيا.

ويتميز المنهج التاريخي بمجموعة من الخصائص أهمها:

- الاعتماد على البيانات والحقائق التاريخية من خلال تحليل الوثائق والمستندات وكذا الآثار والشهادات الموثوقة وبهذا فالباحث ملزم بتحري الحقيقة والوقوف على مدى مصداقية وموضوعية الوثائق والمصادر التي يعتمدها في بحثه العلمي.

- القيام على فرضية وجود علاقات سببية بين الماضي والحاضر وارتباطها بالمستقبل باعتبار أن الحاضر امتداد لأحداث الماضي، والمستقبل نتيجة لأحداث الحاضر.

- يعتمد المنهج التاريخي على الدراسة والتحليل عند العودة إلى الوثائق التاريخية ونقدها وتحري الحقيقي منها دون إعطاء قيمة لها في حد ذاتها إنما اعتبارها أداة للوصول إلى الحقيقة.

2) المنهج المقارن :The Comparative Method

ظهر هذا المنهج نتيجة الاهتمام المتزايد بالعولمة مما أدى بعلماء الاجتماع إلى ضرورة المقارنة الاجتماعية، وقد حظيت هذه الأخيرة باهتمام كبير في معالجتهم المنهجية لطرق البحث العلمي ،واعتبروه المنهج الأنسب للدراسة في علم الاجتماع وعلى رأسهم ابن خلدون و أوغست كونت وماكس فيبر، ويتم من خلال هذا المنهج الوصول إلى مجموع الأحكام والنتائج وكذا المؤشرات على عدة مستويات منها الزماني والمكاني والاجتماعي والسياسي وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية، ويقوم المنهج المقارن بتتبع حالة المجتمع عموما من حال الأسر ومستوى المعيشة، والآفات الاجتماعية كالجريمة والبطالة والمخدرات وغيرها.

ويرتكز هذا المنهج على مجموعة من الخصائص يمكن تلخيصها فيما يلي:

- يعتبر طريقة فعالة وناجحة في تحديد أوجه التشابه والاختلاف حول الظاهرة محل الدراسة ومقارنة المجتمعات في أزمنة و أماكن محددة.

- يتميز المنهج المقارن بقدرته على دراسة عينات البحث بصورة دقيقة ما يسهل الإحاطة بميزات وأبعاد الظاهرة مع تحديد ايجابياتها وسلبياتها وأسباب ظهورها والعوامل المؤثرة فيها.

- الاعتماد على مناهج أخرى في الدراسة مثل المنهج التاريخي للعودة إلى أصل الظواهر نشأتها وكذا المنهج التجريبي وكذا المنهج التحليلي.

3) المنهج الوصفي :Discriptive Method

هو المنهج الذي يعمل على دراسة وتحليل الظاهرة وتحديد مكوناتها وخصائصها وظروف نشأتها، أي تصف الظاهرة من حيث كيفية وطريقة تكونها وعملها، كما يقوم على وصف طبيعة العلاقات المكونة لها أو تلك التي تربطها بظواهر أخرى، حيث أنه يدرس الظاهرة وهي في حالة سكون دون تغير وتطور وتفسير الوضع القائم لها وتحليل أبعادها وعلاقاتها ومكوناتها.

ومنه فالباحثون في هذا المنهج يتجهون إلى وصف الظاهرة أو الواقعة ببيان خصائصها وآثارها ومدى انتشارها ومجالاتها المكانية والبشرية، ويقوم المنهج الوصفي على مجموعة من الخصائص يمكن إبرازها فيما يلي:

- دراسة معالم الظاهرة وأبعادها المختلفة وتوضيح العلاقات القائمة بينها وتقديم حقائق ومعلومات عن واقع الظواهر.

- الاعتماد على التحليل والتفسير في دراسة حقائق الظواهر في مكان وزمان محدد.

- لا يقتصر المنهج الوصفي على وصف الظاهرة فقط بل يقوم أيضا بتحليلها من خلال تقصي خصائصها ومكوناتها للوصول إلى وصف دقيق وحقيقي لها.

4) المنهج التجريبي:Experimental Method

يعد المنهج التجريبي في علم الاجتماع من أهم مناهج الدراسة العلمية للسلوك والعلاقات الاجتماعية،ويهدف هذا المنهج إلى إقامة العلاقة التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر أو المتغيرات، ولإقامة العلاقة بين السبب والنتيجة فإننا نقوم بإجراء التجربة التي يتم خلالها معالجة متغير أو أكثر بتغيير محتواه عدة مرات، ويسمى هذا المتغير بالمتغير المستقل.إن هذه العملية تسمح بدراسة آثار المتغير المستقل في المتغير الذي يتلقى تأثيره والمسمى بالمتغير التابع.

ويقوم المنهج التجريبي على مجموعة من الأسس والخصائص التي تميزه عن بقية المناهج وهي على النحو التالي:

- يتميز المنهج التجريبي بدقة النتائج والموضوعية في الدراسة من خلال تطبيق الأسلوب العلمي.
- تطبيق الدراسة في بيئتها ومناخها الطبيعي مع إمكانية تغيير وتعديل الظروف المحيطة بالظاهرة والتحكم بالعوامل المؤثرة بها.
- إمكانية الاعتماد والاستعانة بمناهج أخرى كالمنهج الاستنباطي والمنهج التطوري.
- يقوم هذا المنهج على الملاحظة والاستنباط في دراسة المتغيرات والتطورات المحيطة بالظاهرة محل الدراسة، وكذا استقراء العلاقات السببية بين هذه المتغيرات.

5) منهج دراسة الحالة: Case study methodology

دراسة الحالة نوع من أنواع الدراسات الوصفية ومنهج في البحث الاجتماعي يمكن بواسطته جمع البيانات و دراستها، كما أنه يزود الباحث بمجموعة من البيانات الكمية أو الكيفية المتعلقة بفرد أو مؤسسة أو أسرة أو نظام اجتماعي معين.

لذا يرتكز هذا المنهج على دراسة وتحليل حالة واحدة أو عدد محدود من الحالات أو المفردات، بدلا من دراسة جميع الحالات و المفردات، وإجراء دراسة عميقة ومحدودة من حيث المكان والزمان والوحدات بدلا من إجراء دراسة شاملة لكافة الوحدات، وهذا لاستحالة أو صعوبة إجرائها فيكتفي الباحث بدراسة وتحليل عدد محدود من الحالات، على أن يقوم بتعميم النتائج والأحكام المتوصل إليها على كافة الحالات الأخرى، التي لم تخضع للدراسة ولكن تكون مشابهة لها وتشترك معها في العلة والخصائص وغيرها، بما يبرر للباحث تعميم الحكم.

ويتسم منهج دراسة الحالة بمجموعة من الخصائص في تحليل ودراسة الظاهرة يمكن توضيحها فيما يلي:

- يمكن لمنهج دراسة الحالة من دراسة ظاهرة ككل أو تطبيق الدراسة على جزء من الظاهرة فقط.

- إعطاء تاريخ الظاهرة محل الدراسة منذ نشأتها حيث يمكن تطبيقه على جزء محدود من تاريخهما كما يمكن تعميم على دراسة كاملة بالاستناد إلى المنهج الوصفي وكذا المنهج المقارن والتجريبي.

- إعطاء دراسة شاملة وعميقة عن حالة أو مجموع حالات والوصول إلى نتائج دقيقة وموضوعية حول الظاهرة وإمكانية تعميم هذه النتائج على باقي الحالات ذات التوافق والتماثل.

- دراسة الظاهرة في بيئتها الطبيعية وهذا ما يستلزم بالضرورة العمل الميداني لأنه يرتكز على دراسة الظاهرة في جزء أو حالة محددة من حيث الزمان والمكان والموضوع.

6) منهج تحليل المحتوى (المضمون) :Content analysis

يقوم هذا المنهج على تحليل المحتوى المدون مثل النصوص أو الإعلام باستخلاص الأنماط الاجتماعية، كما يعتمد على تصنيف وتكميم العناصرفي المواد المكتوبة أو الرقمية، ودراسة الاتجاهات في الإعلام أو الخطابات الاجتماعية.